

البنية الأسلوبية في (سورة الماعون) دراسة لسانية في ضوء الأسلوبية الحديثة

م.م هيثم عباس عوده

The Stylistic Structure of Surah Al-Ma'un: A Linguistic Study in the Light of Modern Stylistics

Assistant Lecturer Haitham Abbas Oudah

**Abstract :** This study seeks to analyze the Qur'anic text through the mechanisms and modern tools of linguistic inquiry in order to uncover the expressive and argumentative structure of Surat al-Mā'ūn through an integrative stylistic approach encompassing multiple levels, including the phonetic and rhythmic, syntactic, semantic, and argumentative dimensions. The study is grounded in the hypothesis that Surat al-Mā'ūn establishes an ethical conception of religion that interrelates faith, worship, and social conduct. The research adopts a stylistic methodology that combines the characteristics of classical Arabic rhetoric with the insights of modern text linguistics. It highlights the stylistic features of the surah in order to reveal its syntactic structure, lexical selection, textual cohesion, mechanisms of reference, repetition, and semantic opposition, while also demonstrating how textual standards such as cohesion and coherence are realized within the surah. Furthermore, the study examines the impact of these features on the construction of the overall lexical meaning, particularly in portraying the manifestations of moral and social deviation criticized in the surah, such as denial of religion, hardness of heart, hypocrisy and ostentation, and the withholding of alms and acts of assistance (al-mā'ūn). The researcher also seeks to demonstrate the precision and aesthetic beauty of Qur'anic expression. The study concludes that Surat al-Mā'ūn constitutes a discourse that condemns collective behavior that departs from authentic religious values, relying on condensation, paradox, and argumentation, which renders the surah a unique model of textual integration in both its aesthetic and ethical dimensions.



Article history

Received: 2/6/2026

Accepted: 22 /6/2026

Published : 30 /9/2026

تواريخ البحث

تاريخ الاستلام: 2/6/2026

تاريخ القبول : 22/6/2026

تاريخ النشر : 30/9/2026

الكلمات المفتاحية العربية : سورة الماعون،  
الأسلوبية، لسانيات النص، الدلالة.

**Keywords :** Surah Al-Ma'un,  
stylistics, textual linguistics,  
semantics.

© 2023 THIS IS AN OPEN ACCESS  
ARTICLE UNDER THE CC BY  
LICENSE



<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>

Corresponding author:

Haitham Abbas Oudah

[haitham.abbas@iku.edu.iq](mailto:haitham.abbas@iku.edu.iq)

DOI : [10.61710/v10/i3/s12](https://doi.org/10.61710/v10/i3/s12)

**المستخلص :** تسعى هذه الدراسة إلى تحليل النص القرآني بآليات الدرس اللساني، وأدواته الحديثة؛ للكشف عن البنية التعبيرية والحجاجية في سورة (الماعون)، بمنهجية أسلوبية تكاملية، تشمل على مستويات متعددة، منها: الصوتية والإيقاعية، والتركيبية، والدلالية، والحجاجية، وتقوم الدراسة على فرضية أن سورة (الماعون) تؤسس تصوّرًا أخلاقيًا للدين، يربط بين العقيدة والعبادة والسلوك الاجتماعي، اعتمدت الدراسة المنهج الأسلوبية الذي يجمع بين خصائص البلاغة العربية إلى جانب اللسانيات النصية الحديثة، وسلّطت الضوء على الخصائص الأسلوبية في السورة، لكشف البنية التركيبية، والاختيار المعجمي، والروابط النصية، وآليات الإحالة، والتكرار، والتقابل الدلالي، وإبراز كيفية تحقّق المعايير النصية في السورة، كالاتساق والانسجام، وبيان أثر ذلك في بناء المعنى المعجمي الكلّي، ولا سيّما في تصوير مظاهر الانحراف السلوكي والاجتماعي التي تنتقدها السورة، مثل: (التكذيب بالدين، وقسوة القلب، والرياء، ومنع الماعون)، وحرص الباحث على إظهار جماليات التعبير القرآني ودقته، وقد توصلت الدراسة إلى أن سورة (الماعون) تمثل خطابًا يُدين سلوكًا جمعياً مفارقاً للقيم الدينية، يقوم على التكثيف والمفارقة والحجاج؛ ما يجعل هذه السورة نموذجاً فريداً لتكامل النص في ما هو جمالي وأخلاقي.

### المقدمة

يُعد النص القرآني الموصوف بالثراء الأسلوبية، من أكثر النصوص التي حظيت بالدراسات الأسلوبية الحديثة؛ فهو يزخر بالمظاهر الصوتية والتركيبية والدلالية، ضمن نظام لغوي بالغ الإحكام، وقد تناولته الدراسات القرآنية الحديثة بعناية فائقة، تتخطى حدود التفسير السائد إلى الغوص في بنيته العميقة، ذات التأثير الفني والجمالي.

وتمثل سورة (الماعون) تشابكاً في الأساليب اللغوية المكثفة، وأنموذجاً للإعجاز الأسلوبية في الرؤية الأخلاقية والاجتماعية للدين، وتنبري هذه السورة لتعيد تعريف الدين والتدين عن طريق ربطه بالممارسة السلوكية الإنسانية في منظور أخلاقي حقيقي، بعيداً عن الشعائر والمظاهر المجردة.

إنّ البنية اللغوية لسورة (الماعون) غنية بالمستويات الأسلوبية المتنوعة، فتبرز فيها المستويات الصوتية والإيقاعية والتركيبية والدلالية والحجاجية، وتثير بمجملها تساؤلات لسانية ونقدية تتعلق بكيفية إنتاج الدلالات الفائضة المتغلغلة في نسيج النص القرآني.

تكمن أهمية هذه الدراسة، التي تحاول مقارنة السورة أسلوبياً، في طريقة اشتغالها في الكشف عن البنيات اللغوية والجمالية التي تشترك في بناء وحدتها الموضوعية، ودلالاتها المركزية.

### إشكالية الدراسة

تنطلق الدراسة من الإشكالية الآتية:

ما البنى اللغوية والأسلوبية التي أسهمت في البناء الحجاجي والأخلاقي لسورة (الماعون)؟  
ويتفرع عن هذه الإشكالية أسئلة فرعية عدّة، منها:

- 1 - ما مظاهر الصوت والإيقاع، وما هي القيم التعبيرية في السورة؟
- 2 - إلى أي مدى أسهم البناء اللغوي في إحداث فجوات التوتر الدلالي والحجاجي؟
- 3 - ما تصنيف العلاقة بين الحقول المعجمية في السورة؟
- 4 - ما مظاهر التماسك البنائي في السياق النصي للسورة؟

### فرضيات الدراسة

تفترض الدراسة ما يأتي:

- 1 - أنّ الوظيفة الحجاجية هي مركز البنية الأسلوبية المكثفة للسورة.
- 2 - أنّ مجموع القيم الصوتية في السورة تنذر بالويل والثبور والوعيد.
- 3 - تؤسس السورة لبناء سلوكي اجتماعي وأخلاقي، وتحذر من الظلم والنفاق والرياء.
- 4 - أنّ المستوى التركيبي للسورة ذو وظيفة تداولية تتخطى الزخارف البلاغية التقليدية.

### أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى ما يأتي:

- 1 - الكشف عن البنى الأسلوبية في سورة (الماعون).
- 2 - الكشف عن التعلق الجمالي اللغوي بالوظيفة الحجاجية للسورة.
- 3 - توظيف الدرس اللساني في تحليل مستويات سورة (الماعون).
- 4 - الكشف عن العناية الفائقة للنص القرآني بالبعد الاجتماعي، وترسيخ المفهوم الأخلاقي للدين بالسلوك الأمثل.

### منهج الدراسة

الدراسة اعتمدت المنهج الأسلوبي، منطلقة من المعطيات الآتية:

- 1 - أسلوبية القيم الصوتية.
- 2 - التحليل التركيبي.
- 3 - الحجاجية.

4 – التداولية.

5 – لسانيات النص.

6 – درس البلاغي التراثي.

للولصول إلى قراءة تحليلية شاملة للبنية اللغوية في السورة.



## التمهيد

### التعريف بالسورة:

سورة الماعون من السور المكية القصار، فهي في السابعة بعد المئة في ترتيب المصحف الشريف، وقيل: إنها مدنية، عدد آياتها سبع (الطبرسي، د.ت)، صفحة 349/10، وتسمى أيضاً سورة (الدين)، وتسمى كذلك سورة (أرأيت)، و(التكذيب)، و(الماعون) (البقاعي، 1984، صفحة 275)، وكلُّ أسمائها الأربعة في غاية الظهور لو تأملنا في الدلالة، فهي ناهية عن المنكرات بتصريحها، داعية إلى المعالي بإفهامها وتلويحها (البقاعي، 1984، صفحة 275)، عدد كلمات السورة (25)، وعدد حروفها (112).

وأما عن سبب نزول قوله تعالى: (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ) الماعون:1، قال ابن جريح: كان أبو سفيان ابن حرب ينحر كل أسبوع جزورين، فأتاه يتيم فسأله شيئاً فقرعه بعصى، فأُنزل الله تعالى: (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ) (النيسابوري، 1968، صفحة 306).

وكذلك لما ((ذكر سبحانه نعمه على قريش، ثم عجب سبحانه في هذه السورة من تكذيبهم، مع عظيم النعمة عليهم)) (السيوطي، 1986، صفحة 144)، ولا يخفى على متتبع أن أسباب النزول ترشدنا أحياناً إلى عنصر هام من عناصر النص القرآني ألا وهو فهم السياق، وأحياناً أخرى يفهم من النص العموم غير الخصوص التي نزلت بها الآيات أو السور؛ إذ إن القرآن الكريم مصداق لكل زمان ومكان، فنلاحظ من قراءتنا للسورة، أنها تُعالج حقيقة من الحقائق التي تمس العقيدة الإسلامية، فضلاً عن البعد الأخلاقي، وهو النفاق والرياء.

### الأسلوبية:

يقترّب مفهوم الأسلوبية كثيراً من مفهوم الأسلوب، فهي ((بحث عن الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب)) (المسدي، 1982، الصفحات: 33 – 34)، لذا فهي علم يدرس اللغة في الأنظمة الخطابية في مستويات عدّة، أو هي ((تحليل لغوي، موضوعه الأسلوب، وشرطه الموضوعية، وركيزته الألسنية)) (شريم، 1987، الصفحات 37 – 38)، وتكشف الأسلوبية عن مستويات اللغة في النص بحسب تعريف أريفاي ((وصف للنص الأدبي حسب طرائق مستقاة من اللسانيات)) (خفاجي، 1996، الصفحة 23)، وما تفرزه من قراءات تحليلية داخل نسيج النص، وتعنى الأسلوبية بلغة النص لذاتها، من دون النظر إلى الجوانب الأخرى المحيطة بها من: تاريخية، أو اجتماعية، أو نفسية، وغايتها تخلص النقد الأدبي من المقاييس الخطابية التقليدية.

ولا نغفل البلاغة العربية وعلاقتها بالأسلوبية الحديثة، وقد عرّفها بيار جيرو بهذا الاتجاه: ((إنّ الأسلوبية بلاغة حديثة ذات شكل مضاعف، إنها علم التعبير، وهي نقد للأساليب الفردية)) (جيرو، 1994، صفحة 9)، وبنظرة موضوعية تقترب من هذا التعريف، يمكن القول: أنّ البلاغة العربية في كتب الأقدمين قد وقفت على جوانب البحث الأسلوبي في غالب الأحيان، كما هي وظيفة الأسلوبية الحديثة، ويتمثل ذلك في رصد الخصائص الفنية والجمالية التي تتصل بلغة النص، ولكن بنقد أولي، ينسجم مع روح العصر وثقافته.

### المبحث الأول

#### المستوى الإيقاعي والصوتي: (مهاد نظري)

يعدّ عنصر الصوت من أبرز العناصر التي تحرّك جسد اللفظة وتمنحها جرساً موسيقياً يدخل إلى أعماق السامع ويخترق القلب؛ ليمثّل لوحة تحاكي العنصر الملفوظ وتقترب من دلالاته، لذلك صنّف علماء العربية قديماً وحديثاً مؤلفات وكتب ودراسات، تناولت المباحث الصوتية في النص القرآني، وذكروا

وظائف الصوت والإيقاع في إصابة المعنى بدقة، وربط اللغة بالفكر، لتحقيق فهم بمعادل لغة القرآن الكريم، لذا يتناول المستوى الصوتي الحديث دراسة النظام الصوتي للغة ما، وهذا النظام يتضمن عددًا من الوحدات والفصائل تختلف من لغة إلى أخرى وفق طبيعة اللغة (عزت، 1996، صفحة 15)، ومما لا شك فيه أنَّ الصوت في العبارات القرآنية هو صاحب التأثير الكبير في الجو العام، ومن هنا لا بدَّ أن تكون الأصوات منسجمة مع السياق العام للعبارات القرآنية، ((فنحن نعلم أنَّ الصوت في حالة الغضب يختلف عما هو في حالة الفرح، وكذلك يختلف عما هو في حالة الحزن، ومن هنا لا بدَّ من الإشارة إلى قضية في غاية الأهمية ألا وهي أسلوب قراءة القرآن، فنجد الكثير منهم عندما يبدأ بتجويد القرآن يسترسل بأسلوب واحد إلى نهاية القراءة وكأنَّ القرآن كله على نغمة واحدة)) (الشاوي، 2007، صفحة 121)

إذن، لا بدَّ من أن تكون القراءة ذات بعد نغمي توحى بظلالها على سياق النص، فضلا عن المفردة نفسها.

وقد سهَّل لنا القرآن الكريم ذلك عن طريق اختيار الألفاظ المُجسِّمة لمعانيها، ومن تلك الألفاظ: (الحاقة، والطامة، والصاخة) التي تستدعي النطق بها ضغطًا صوتيًا شديدًا، ونبرةً عاليًا؛ ليستطيع القارئ تأدية المعاني المرادة أو المقصودة عن طريق التمثيل لإيقاع مجلجل، ورنين مناسب، وقد يكون التوافق والتنسيق مع مقطع إيقاعي أو مفاصل هندسية كالمقاطع النبرية وآخر الأجزاء وأول الشطر وآخره، فإنَّ هذا التعاون بين تنسيق صوتي وبناء عروضي - يسند الواحد الآخر - يُبرز هندسةً هي في الأساس تنظيم بين الشعر وفي غيره تكون هندسة إيقاعية نبرية (ميشال، 1984، صفحة 93) هذا في الشعر، فكيف في القرآن الكريم وهو في غاية الدقة والعمق والتنظيم؟!

ومهما كان الصوت الإيقاعي في القرآن الكريم، فإنه يهدف إلى إيصال المعنى عن طريق الإيقاع المؤثر، فلا يمكن الفصل بين إيقاع الصوت والنفس البشرية؛ لأنَّ القيم الصوتية في القرآن تُعبِّر عن مظاهر النفس البشرية وانفعالاتها، وموسيقاه هي انعكاس النفس البشرية، بمختلف حالاتها وأمزجتها وأحاسيسها، وهي ((صوت فرحها وحزنها، أملها ويأسها، غضبها وسعادتها، لقد لامس أعصابها ووقع أوتارها، وصور حركة إحساسها، وكان صدى مشاعرها وانفعالاتها، وبلغ في ذلك الغاية تعبيرًا وتأثيرًا)) (أمين، 2004، صفحة 411).

المستوى الصوتي والإيقاعي في سورة الماعون

أولاً: الفاصلة القرآنية:

يُقصد بالفاصلة القرآنية، هي تلك النهاية التي تذيّل الكلمات القرآنية وتعمل كنهاية للجملة القرآنية، ومن المحدثين من يربط بين الوظيفة الإيقاعية والوظيفة الدلالية للفاصلة؛ إذ تشير الفاصلة إلى إيقاع يثري المعنى، بل تعنى بربط الوظيفة الإيقاعية بالوظيفة الدلالية للفاصلة.

تشتمل سورة (الماعون) على نظام من القيم الصوتية المتجانسة، اعتمد الفواصل المنتهية بالنون، مثل: (الدين - المسكين - المصلين - ساهون - يراءون - الماعون)، ويخلق هذا التكرار الصوتي إيقاعاً تحذيرياً متواتراً، ليؤكد فيه الدور الدلالي الذي يتخطى الإيقاع الناتج من حركية الألفاظ، إلى وظيفة أساسية هي خلق جو نفسي من التهديد والوعيد، وكذلك الامتداد الصوتي للنون في نهاية كل آية، يدفع بالإيقاع بقوة، ويمنحه زخماً استمرارياً ممتداً، لصورة الانحراف المتجذّر فهو ليس فعلاً عابراً، بل ويشير بوضوح إلى مدى الانحطاط الخلقي، والسلوك المذموم للمجتمع المجرد من التكافل والتواصل وفعل الخيرات، فضلاً عن تفشي النفاق والرياء فيه، وغير ذلك من الأمراض الاجتماعية.

يرى بعض الدارسين أن هذا التكرار الصوتي في السورة ينتج بنية دلالية موازية للدلالة المعجمية، إذ تسهم الأصوات في إنتاج الدلالة، لا مجرد وعاء لها.

ولمعينة إلى اللوحة القرآنية في سورة (الماعون) بإمعان، نجدها مشحونة بالإيقاع والموسيقى المعبرة عن الحدة والشدة والتهديد والوعيد والتعجب؛ إذ إنّ محور الآيات يعالج ظاهرة من ظواهر المجتمع بصورة عامة، هي الرياء والنفاق، التي ابتلي بها المجتمع الإسلامي. ولو تأملنا قليلاً في فواصل الآي نجد السورة عبارة عن انعكاس لواقع إنسان من نوع خاص يتمتع بالرياء والنفاق، وسورة الماعون هي سبع آيات كلها تنتهي بحرف النون ما عدا آية واحدة، وهي الآية الثانية التي (فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ) الماعون: 2، وهي محور السورة القرآنية، وأنّ اليتيم هو سبب لاختبار الناس فضلاً عن كونه مسكيناً، وفي هذه الآية يبرز الفعل (يَدْعُ) نموذجاً للمحاكاة الصوتية، فالشدة في الدال مع العين الحلقية تلوّح بالعنف والغلظة، وكأنّ الوحدة الصوتية تعبّر بوضوح فعل الدفع والطرد تعبيراً سمعياً، وهذا ما يوسم في الأسلوبية الحديثة ب: (التناسب الأيقوني) بين الصوت والدلالة.

يقول حسن عباس عن حرف النون: ((تدلّ معانيه على عيوب جسيمة ونفسية وروائح نتنة، يغلب طابع الضعف والتفسّخ، دونما فضاضة أو فجور، وذلك يتوافق مع حرف النون)) (عباس، 1998، صفحة 188)؛ إذ يُلاحظ أنّ الضعف متجسّد بالمسكين وهي من العوامل الجسدية، والروائح النتنة والمتفسّخة هي عوامل نفسية متمثلة بالدين المفهوم بطريقة معكوسة، والمصلين المنافقين المرائين الساهين عن الصلاة شكلاً ومضموناً، وقد أصبح الماعون بيد الإنسان الشحيح للخير، البخيل بما له على الآخرين الضعفاء وبخاصة اليتامى، ومن يهضم حقوق اليتامى والمساكين، ولا يحرص على أقواتهم، أو لا يهتمهم أمرهم جاعوا أو تشردوا فلا تشفع له شفاعة من عبادة في صلاة أو صوم؛ بل ويخرجه من الصدق

والإيمان إلى النفاق، إذ إنّ فاصلة النون تمثل روعة الاتساق القرآني بين مضمون السورة والإحياءات الصوتية التي مثلها صوت النون، وما يحمله من وظيفة دلالية. ومعنى ذلك أنّ هذه الوحدات الصوتية من فاصلة، وتلاحق أحرف المد واللين وختمه بالنون، تتضافر جميعها لتحقيق الأثر في نفس المتلقي التي تشاق إلى الإصغاء والفهم، وإضفاء جوٍّ من القيم الصوتية، تطيب معها النفس، وترتفع بها الروح.

### ثانياً: الإيقاع المخرجي للصوت

المخارج الصوتية المتقاربة تُشكّل نسقاً إيقاعياً داخل الكلمة، فضلاً عن السياق؛ إذ ((لا تتعدّ أوامر القربى بين الأصوات بواسطة الملامح الصوتية المتماثلة أو المتقاربة فحسب، وإنّما تتحقق القرابة بين الأصوات حينما تشترك في المخرج أو تتقارب مخارجها؛ لأنّ التماثل في المخرج أو التقارب يضيفان على الأصوات المختلفة أثراً سمعياً متشابهاً إلى حدٍّ كبير)) (عتيق، 2010، صفحة 369)، وبذلك يلحظ أنّ ((الأسلوب الموسيقي يتنوّع بتنوّع الأجواء التي تُطلق فيها، فأنت تتلمّس بيقين أنّ هناك نظاماً خاصاً منسجماً مع الجو العام بإطراد لا يُنسى)) (الزوبعي، 1996، صفحة 390)

ولمّا كان إيقاع الفواصل لا يقتصر على صوت الفاصلة، فسنتملّ الأصوات المجاورة للفاصلة لنتملّس إيقاعها من حيث مخارجها، ففي قوله تعالى: *أَمْ يَرِيبُكُمْ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ قَالُوا لِمَ نَدْعُوهُ لَا يُجِبُنَا دَعْوَانَا إِنَّا لَمَعْلُومُونَ* (الماعون: ٥-٧) تماثل الفواصل الثلاثة، وتماثل صوت المد واللين فيها، ولو تأملنا صوت الهاء في "ساهون" وصوت الهمزة في "يراءون"، وصوت العين في "الماعون" لتبيّن أن مخارجها متقاربة، فالهاء والهمزة صوتان حنجريان، والعين صوت حلقي (القادر، 2007، صفحة 142) وهذا يعني أنّ هذه الأصوات التي وقعت قبل الفواصل المتماثلة نُطِقت أو تشكّلت بآلية منتظمة؛ إذ بدأت بالحنجرة ثم الحلق، وأنّ هذا الترتيب في مخارج الأصوات التي تسبق الفواصل هو نوع من النسق المخرجي، يضاف إلى النسق الصوتي أو الإيقاعي لأصوات الفواصل، وبهذا تكون المساحة الإيقاعية لكلمات الفواصل قد تشكّلت من نوعين متكاملين من التناسق، الأول: التناسق الصوتي الإيقاعي الناجم عن تماثل الفواصل، والثاني: التناسق المخرجي الناجم عن تماثل أو تقارب الأصوات التي تسبق الفواصل (عتيق، 2010، صفحة 370).

### ثالثاً: التوازن النحوي

من المصطلحات التي ظهرت في العصر الحديث، ومما أفرزته الدراسات اللسانية الحديثة لمواكبة التطور البلاغي والنقدي اتجاه النص الإبداعي هو: (التوازن النحوي)، لكن الأثر الكبير في تحديد مفهوم هذا المصطلح يرجع إلى التقاطع الحاصل في الدرس النقدي الحديث؛ إذ نصّ "جاكسون" -وهو مؤسس

النادي اللساني في موسكو - على أن التوازي ((عنصر قد يمثل المنزلة الأولى بالنسبة للفن اللفظي)) (جاكيسون، 1981، صفحة 103).

وإذا عدنا إلى سورة الماعون وأنعمنا النظر متأملين هذه اللوحة التصويرية وجنا التوازي النحوي متمثلاً

بـ:

- (الذي يُكذَّب بالدين) - (الذي يدعُ اليتيم)

وكذلك إذا أدخلنا الفعل (يحضُّ) بوصفه فعلاً مضارعاً، ولأنه جيء في (يكذَّب، ويدعُ، ويحضُّ) بصيغة المضارع لإفادة تكرير ذلك منه ودوامه (عاشور، د.ت، صفحة 565/30)، وقد أفادت هذه الصيغ الثلاث جرساً موسيقياً فيه شيء من الحدة وعظم الحدث الذي يتضمن الفعل ((ولهذا جاء سبحانه بالتقريع على المكذب بالدين، وبهذه النقلة في قوله تعالى: (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) الماعون: 4 - 7. (التواب، 1995، صفحة 176) وكذلك حينما نتأمل تكرار كلمة (الذين) في قوله تعالى: (الَّذِينَ هُمْ.. الذين هم..) نجد هاتين الكلمتين قد مثلتا أروع الصور حينما أردفتا بضمير الفصل (هم) الذي أعطى تأكيداً بيئاً على بشاعة فعلهم ومدى لؤمهم وكذبهم.

ولا بد من الإشارة إلى الاقتصاد الإيقاعي في سورة (الماعون) بمجملها، فهي سورة قصيرة جداً، غير أن الإيقاع فيها متسارع ومتوتر؛ وذلك لقصر جملها، وسرعة انتقالاتها، وغلبة الأفعال المضارعة فيها، وهذا يحقق إيقاعاً قضائياً، أو إدانةً متلاحقة.

## المبحث الثاني

### المستوى النحوي (التركيب): (مهاده نظري)

إن الأصوات لوحدها لا تكفي في إعطاء صورة متكاملة للنص؛ فلا بد من تضافر الوحدات الصوتية مع المفردات الأخرى لهذا النص، وتتنظم مع غيرها من المفردات والجمل والعبارات؛ لتكون لغة النص الكلية، وبذلك، فإن بنية اللغة لا تكفي بمجرد صياغة المفردات وفق القواعد الصرفية، بل تحتاج إلى وحدات وظيفية معينة تسمى: (الوظيفية النحوية) وهي التي تحتل الكلمات فيها مواقع معينة، وتُشير إلى علامات معينة، ولذا ((يقوم المستوى النحوي بدراسة تركيب ونظام هذه الوحدات وكيفية استخدامها في متواليات أفقية)) (عزت، 1996، صفحة 19).

ففي اللغة العربية -مثلاً- هناك أجزاء الكلام، من اسم وفعل وحرف، وهناك أنواع الجمل الاسمية والفعلية، وكذلك شبه الجملة، ولذا ((تعد قراءة المستوى التركيبي إحدى أهم مستويات القراءة الأسلوبية للنص، وهي قراءة متعلقة ببنية اللغة، إن اختيار المبدع لأدواته التعبيرية من رصيده المعجمي، ومن ثم إعادة تراكيبها تركيباً يعتمد على شجاعته في لفت الأنظار عبر تقصي عتبة الإبداع، والعزوف عما هو

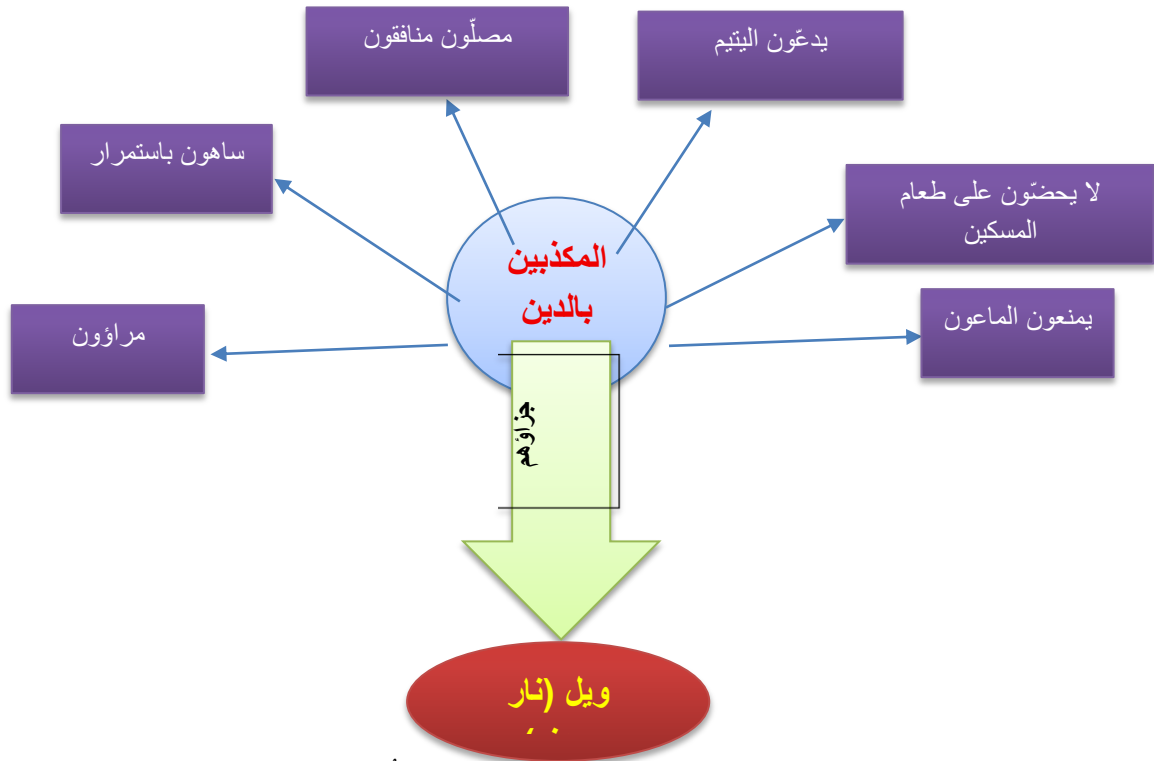
مألف من النتاج)) (سميسم، 2016، صفحة 60)، وهذا ما يمكن قوله أن المستوى التركيبي يحمل في طياته بنيتين: الأولى سطحية، ويمثلها نص الآية، والثاني: هي البنية العميقة أو التحتيّة بما تحمله من دلالات تفيض على سطح تلك البنية (عياشي، 2009، صفحة 97).

### المستوى النحوي في سورة الماعون:

ترتكز البنية النحويّة في سورة (الماعون) على مرتكزات عدة، منها: الجملة الفعلية المسبوقة بالاستفهام الخارج إلى معنى التعجب (أرأيت الذي يكذب بالدين)؛ إذ نلاحظ حرف الاستفهام الهمزة قد خرج من معناه الحقيقي، وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل إلى معنى التعجب المشحون بالإنكار، وهو استفهام افتتحي، افتتحت به السورة (أرأيت الذي يكذب بالدين)، فالاستفهام هذا ليس حقيقياً، بل هو استفهام تقريرى تعجّبي يهدف إلى إثارة الانتباه، وتحفيز الاستثارة الذهنية، وجعل المتلقي في سياق المحاكمة الأخلاقية، وهنا وظيفة تداولية للاستفهام، والملاحظ ابتداء السورة بالفعل الإدراكي (أرأيت) قبل الشروع بعرض الصفات؛ مما يجعل التلقي قائماً على المشاهدة النفسية والذهنية، لا على السرد المباشر. وتأتي صيغة (أرأيت) كما يرى الزمخشري، وأيده أبو حيان الأندلسي، بمعنى (أخبرني) فتتعدّى إلى مفعولين أحدهما (الذي) والآخر محذوف بمعنى (من هو) وقدره الحوفي (أليس مستحقاً عذاب الله) (الزمخشري، 1966، صفحة 289/4)، والملحظ العقلي يميل إلى هذا الرأي، حينما نُعمُن النظر نجد الرؤية هنا قلبية، وليست بصرية؛ إذ المقام ليس مقام المشاهدة البصرية، وإنما هو مقام الإخبار الفعلي عما يجري من سور خُلق اجتماعي، ويؤكد ذلك استمرارية الحدث في دلالة الأفعال الموجودة في السورة المباركة.

وكذلك استعمل القرآن الكريم في السورة نفسها التوازي التركيبي الذي يتجلى في قوله تعالى: (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ)، و (الَّذِينَ هُمْ عَنْ يُرَآؤُونَ) صيغة (سَاهُونَ)، ولم يستعمل صيغة (يسهون)، لدلالة الصيغة الاسمية على الثبات، والملازمة لهم؛ لأنهم منافقون لا يهتمون بصلاتهم فهم (سَاهُونَ) باستمرار، وهذا دليل على النفاق والرياء اللذين يتمتعون بهما (السامرائي، د.ت، صفحة 9)، ويؤدي هذا التوازي التركيبي بين الآيتين وظائف عدة، منها: الإيقاع، والتوكيد، والتدرج في كشف الشخصية المناققة، فسياق الآية الأولى يشير إلى الخلل العبادي، والثانية تقضح البعد الاجتماعي النفعي للعبادة الشكلية. وثمة مفارقة تركيبية في الآية (قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ)، وهي من أقوى البنى المفارقة فيها، إذ تسند الوعيد إلى (المُصَلِّينَ)، قبل أن يُرفع عنها الإبهام لاحقاً، ووظيفة هذه المفارقة التركيبية هي كسر أفق التوقع، وهذا الأسلوب من أهم آليات التأثير في النص القرآني.

فلو دققنا النظر في السورة المباركة بتأمل وتمعن نجدها في حقيقة الأمر عبارة عن ركيزتين أساسيتين متمثلتين في جملتين، الأولى: ((أرأيت الذي يكذب بالدين))، والثانية: ((فويل للمصلين))، ويمكن توضيح ذلك في المخطط الآتي:



وكلّ تلك الصفات حينما اجتمعت في شخصهم وباستمرار، أُصدّق عليهم مكذبون بالدين؛ لأنّ الدين المعاملة، (فويل للمصلين) ذكر الويل هنا لسوء العاقبة ووخم النهاية، وقد جاءت نكرة لبيان الوعيد، وشدة العذاب، وقد أفادت هنا هذا المعنى، وكأنّ الويل مقرون بهم ولا يفارقهم، ومصيرهم أشد أنواع العذاب.

وربّ سائل يسأل، لماذا جيء ببنية إشارية (ذلك) وما الغاية المرجوة منه، وكان بالإمكان أن تكون الجملة (أرأيت الذي يكذب بالدين. الذي يدعُ اليتيم) فجيء باسم الإشارة لسببين، الأول: لتعريف الذي يكذب بالدين (التعيين)، وثانيًا: لتحقير مكانة من يُكذب بالدين (قليلة، 1987، صفحة 228)، فالآية هنا تشير وبوضوح إلى الدناءة والخسة في الطباع، ويعد هذا الخطاب إدانة وتقريع.

وأما تكرار ضمير الفصل (هم) في الآيتين: "الذين هم عن صلاتهم ساهون. الذين هم يراؤون" ذكر النحويون أنّ الوظيفة النحويّة لهذا الضمير والغرض منه، هو الإعلام من أول وهلة يكون الخبر خبرًا لا صفة (يعيش، 2001، صفحة 111/3)، ولهذا أطلق عليه البصريون (فصلا)؛ لأنّه يفصل بين الخبر والتابع (الأنباري، 1961، صفحة 100). وأمّا وظيفته الدلالية فقد ذكر النحويون، أنّه يجيء للتوكيد، فقد جاء ضمير الفصل في الآيتين لغرض توكيد الحدث الذي هم عليه مسبقًا فجاء لتوكيد صفتهم

(السيوطي، همع الهوامع في جمع الجوامع، 1998، صفحة 68/1)، وأرى أنَّ هذا التكرار التركيبي (الذين هُم) هو تكرار الموصول يؤدي وظائف منها: الإيقاع، والتوكيد، والتدرج في كشف النفس المريضة، من زيف العبادة في عمق هذه النفس من الداخل، وزيف التعايش الاجتماعي من الخارج.

### المبحث الثالث

#### المستوى الدلالي (مهاده نظري)

هو ذلك المستوى المعرفي المشحون بالطاقات التعبيرية المكونة في جسد النص؛ إذ عن طريقه تتكشف كل الظلال المحيطة بالمعنى المستقر في الألفاظ نفسها، وتتصّب دراسة المستوى الدلالي على العلاقات الدلالية التي تؤثر تأثيراً هاماً في عملية نقل الدلالة وتبديل المعنى (الشيخ، 1999، صفحة 4)؛ إذ لا مناص من سبر أغوار المعنى إلا عن طريق التركيبة الدلالية؛ لأنَّ ((الإضاءة الإبداعية في النص الأدبي تتزامن مع إيجاد أساليب فنيّة تخترق الحاجب الوظيفي الملازم للغة المعجمية، وشحن المنتج الدلالي المختزن في اللغة الاعتيادية، وصولاً إلى منطقة الإبداع؛ إذ تتجلى قدرة المنشئ في التحكم بقيود اللغة الاعتيادية إلى دلالات جديدة، تولد من ذائقة المبدع وقدرته الإبداعية في حقول الأدب)) (سميس، 2016، صفحة 106)

إنَّ المستوى الدلالي يعنى بدراسة معنى الجمل والعبارات في النص على مر العصور؛ ((لأنَّ الدلالة تمثل سيورة تداول الألفاظ في الذاكرة العربية، وإنتاج المعنى، وتحويله من طابعه المادي إلى أشكال مضمونية تُدرّك ضمن السياقات المتنوعة؛ لذا ارتبط هذا المفهوم بالقدرة على إنتاج دلالة ما استناداً إلى روابط صريحة، هي ما يشكّل جوهر العلامة وشرط وجودها)) (خشان، 2017، صفحة 112)، فالدلالة ليست ثابتة، بل تنمو وتتحرّك وتتطور ضمن تعاقبية الظرف والزمن، إذن كلُّ شيء يخضع إلى معايير موضوعية يقترحها المتلقي في مجال الربط بين المستوى الدلالي وبقية المستويات اللغوية الأخرى.

في قوله تعالى: (أرأيت الذي يكذب بالدين)، هذا استفهام استفتاحي، ولا بد من الإشارة إلى أنَّ الاستفهام في عموم القرآن غير حقيقي، ويخرج لدلالة أخرى؛ لأنَّ الاستفهام يصدر من سائل يطلب معرفة ما يجهله، وهذا لا ينطبق على القرآن الكريم؛ لأنَّه واقع من عالم الغيب والشهادة، وهو تعالى الغني عن طلب الإفهام، لذا فالاستفهام هنا قد جرى لأغراض بلاغية تلائم سياق المقام والحال، و (أرأيت) الواردة في النص تأتي بمعنى (أخبرني) مع المبالغة في التعجب.

والملاحظ أنَّ سورة (الماعون) قد عزّفت التّكذيب بالدين بمفهومية ارتبطت بالسلوك الاجتماعي، لا تعريفًا اعتقاديًا نظريًا، وبهذه المفهومية تحوّل الدين من مجرد اعتقاد نظري إلى معتقد راسخ يتعلق بالسلوك الاجتماعي.

ومن عجائب الموقف الذي يتمتع به المكذّب بالدين وغرائب، فإنّي أحسبُ الاستفهام قد جمع كل المعاني المجازية في دخوله على الفعل (رأيت)؛ إذ جمع التنبيه والمبالغة والتعجب والتهكم والسخرية...ألخ، فهو ((يثير أقصى اليقظة والانتباه، ويرهف الدهشة والترقب انتظارًا لجواب غير متوقع، وتطلّعًا إلى معرفة ماذا يكون التّكذيب بالدين غير الذي يعلمون منه بالضرورة)) (الرحمن، 1968، صفحة 184/2)

وفي الآية نفسها (فذلك الذي يدعُ اليتيم)، يبلغ القرآن أقصى غايته الأخلاقية من جزاء عدم إكرام اليتيم، ودعّه.

#### الحقول الدلالية:

تتوزع ألفاظ السورة على ثلاثة حقول دلالية هي:

| الألفاظ                   | الحقل             |
|---------------------------|-------------------|
| الدين – المصلّين – الصلاة | التدّين           |
| يدعُ اليتيم – المسكين     | القسوة الاجتماعية |
| ساهون – يراءون            | النفاق            |

ومن المؤكد أنَّ هذا التفاعل بين هذه الحقول يكشف عن العلاقة العضوية بين العقيدة، والعبادة، والأخلاق الاجتماعية.

#### • الحجاج الأخلاقي:

أفرزت سورة (الماعون) جملة من البنى الحجاجية في تراتبية متسلسلة ودقيقة:

1. التّكذيب بالدين.

2. ظلم اجتماعي.

3. عبادة مظهرية شكلية.

4. شحة ونفاق اجتماعي.

وبناءً على ما تقدم نُعدُّ سورة (الماعون) بياناً كونياً للعدالة الاجتماعية، وصوتاً مُدَوِّياً للنزعة الإنسانية الخالصة.

#### • الوحدة الموضوعية:

تتنظم الآيات في سورة (الماعون) بعقدٍ تراثي متسلسل، وتدور حول محور واحد هو الاختلال بين التدين المظهري الشكلي، والحقيقة المُصادق عليها اجتماعياً وإنسانياً، وعلى الرغم من قصر السورة، إلّا أنّها على قدر كبير من الوحدة الموضوعية، يعكس تماسكاً نصياً مُحْكَمًا.

#### • أدوات الربط:

أسهمت أدوات الربط في سورة (الماعون) بوصفها وسائل ربط، في تماسك النص، ومجموع أدوات الربط فيها هي:

1. اسم الإشارة (فذلك)

2. الموصول (الذين)

3. الفاء السببية (فويل).

إنَّ وجود هذه الروابط في السورة حقَّق انسجاماً بين البينيتين الدلالية والحجاجية.

#### الخاتمة

النتائج التي تكتُفت أثناء البحث، هي بحسب الآتي:

1 - امتلاك سورة (الماعون) بنية أسلوبية غاية في التكتيف.

2 - أعادت سورة (الماعون) تعريف الدين، لتضعه في نصاب الممارسة الاجتماعية والأخلاقية.

3 - إنّ الفاصلة القرآنية لا تنفك أن ترتبط بالمعنى ارتباطاً مكملًا للصورة الفنية الكاشفة عن أسرار النص.

4 - التقارب المُخرَجِي للأصوات - في سورة الماعون - أعطى شحنة موسيقية ذات قيمة دلالية عميقة.

5 - إنّ دلالة التوازي التركيبي والمفارقة أحدث تخليقاً عميقاً للأثر الحجاجي والنفسي.

6 - الجملة الاسمية دلت على الثبات والاستمرارية، والجملة الفعلية على الحدوث والتجدد، وكأنّ مضمون السورة يتجدد في آن.

7 - اتّحاد المستويات الأسلوبية داخل النص القرآني فجّرت القيود المحيطة بالمعنى، وأعطت لوحةً تتساق وروعة القرآن.

## المراجع

- ابن منظور. (د. ت). لسان العرب. بيروت: دار صادر.
- ابن يعيش. (2001). شرح المفصل (المجلد ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.
- أبو البركات الأنباري. (1961). الإنصاف في مسائل الخلاف (المجلد ط4). القاهرة: مطبعة السعادة.
- أحمد الشايب. (1952). الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية (المجلد ط3). مصر: مكتبة النهضة المصرية.
- أحمد حسن الشاوي. (العدد الخامس، 2007). الموسيقى القرآنية والجرس الدلالي. مآب.
- أحمد سميسم. (2016). أسلوبية الحجاج في نثر الإمام الحسين ع. بغداد: الجامعة المستنصرية.
- البقاعي. (1984). نظم الدرر في تناسب الآيات والصور. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.
- البيضاوي. (د. ت). تفسير البيضاوي. بيروت: دار الفكر.
- الجوهري. (2012). الصحاح (المجلد ط1). بيروت: شركة الأعلمي.
- الرازي. (د. ت). تفسير الفخر الرازي. بيروت: دار الفكر.
- الراغب الأصفهاني. (2008). المفردات في غريب القرآن (المجلد ط1). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الزمخشري. (1966). الكشاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل. مصر: مطبعة البابي الحلبي وأولاده.
- السيوطي. (1998). همع الهوامع في جمع الجوامع (المجلد ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.
- الطاهر بن عاشور. (د. ت). التحرير والتنوير. تونس: دار سحنون.
- الطبرسي. ((د. ت)). مجمع البيان في تفسير القرآن. بيروت: دار المرتضى.
- المبرد. (1386هـ). المقتضب. القاهرة.
- الواحي النيسابوري. (1968). أسباب نزول الآيات. القاهرة: مؤسسة الحلبي.
- بكري شيخ أمين. (2004). التعبير الفني في القرآن الكريم (المجلد ط1). بيروت: دار العلم للملايين.
- جاكسون. (1981). قضايا الشعر. الدار البيضاء: دار توبقال.
- جوزيف ميشال. (1984). دليل الدراسات الأسلوبية (المجلد ط1). بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات.
- حسن عباس. (1998). خصائص الحروف ومعانيها. بيروت: منشورات اتحاد الكتّاب العرب.
- خشان، أحمد حسين. (2017)، تأويل النص القرآني في القراءات العربية المعاصرة، بغداد، مكتبة المتنبّي.
- صالح سليم عبد القادر. (2007). الدلالة الصوتية في اللغة العربية. الاسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية.
- صلاح الدين عبد التواب. (1995). الصورة الأدبية في القرآن الكريم (المجلد ط1). بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.
- طالب محمد إسماعيل الزوبعي. (1996). من أساليب التعبير القرآني (المجلد ط1). بيروت: دار النهضة العربية.

- عبد السلام المسدي. (2006). الأسلوبية والأسلوب (المجلد 5). بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- عبد الواحد حسن الشيخ. (1999). العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي (المجلد 1). القاهرة: مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية.
- عبده عبد العزيز قليقة. (1987). البلاغة الاصطلاحية. القاهرة: دار الفكر العربي.
- علي عزت. (1996). الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب (المجلد 1). القاهرة: شركة أبو الهول للنشر.
- عمر عبد الهادي عتيق. (2010). ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم (المجلد 1). أربد: عالم الكتب الحديث.
- فاضل السامرائي. (د.ت). معاني الأبنية في العربية. الكويت: كلية الآداب.
- محمد داود. (2002). القرآن الكريم وتفاعل المعنى ودراسة دلالية لتعلق حرف الجر بالفعل وأثره في المعنى في القرآن الكريم . القاهرة: دار غريب.
- محمد عبد المطلب. (2009). البلاغة والأسلوبية (المجلد 3). مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر.
- مصطفى صادق الرافعي. (1974). تاريخ آداب العرب (المجلد 2). بيروت: دار الكتاب العربي.
- منذر عياشي. (2009). الأسلوبية وتحليل الخطاب. دمشق: دار المحبة.